الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة باجي مختار - عنابة
BADJI MOKHTAR - ANNABA UNIVERSITY
UNIVERSITE BADJI MOKHTAR - ANNABA

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم اللغة العربية وآدابها

محاضـرات وتطبيقات في مقيـاس:

المســـــرح العـــــربي

المستوى: ماستر 1 (أدب حديث ومعاصر)

إعداد الدكتورة: سكينـــة زواغـــي

2020/2019

المحاضرة السادسة: المسرح الأسطوري

1-مفهوم الأسطورة:

الأسطورة أو الميثة (**Mythos**) هي بحسب فن الشعر لأرسطو، مترجمة غالبا بـ (**plot**) "الحكاية" في اللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية وبـ (**Handlung**) في الألمانية، وهي تجميع الأفعال واختيار وضبط الأحداث المروية المسرودة.

وبالعودة إلى المصدر، فإن الميثوس أو السر، هو المصدر الأدبي أو الفني، وهو القصة الميثولوجية (الحكاية بالمعنى الأول) والذي يستمد منه الشعراء عناصر بناء التراجيديات (**mythes**)، فالميثولوجيات هي من دون انقطاع متغيّرة ومركبة وهي تشكل دوافع ومواضيع يستعملها المؤلفون المسرحيون اليونانيون في مسرحياتهم التراجيدية. وانطلاقا من استعمال لمفهوم الميثوس فإن هذه الكلمة تعني أكثر فأكثر الهيكلية المنظمة للحدث للفعل (الحكاية، **La fable**). ويتميز الميثوس أولا بالنظام الزمني للأحداث، والمدخل وقلب الموضوع (الصدر) والنهاية، وثانيا بالتنظيم المحسوس المدرَك لوحدة متكاملة، وثالثا بوحدة الفعل. وهكذا من تقليد بسيط لمصدر سابق، يرتقي الميثوس إلى صف وحدة الفعل، لضبط العناصر المبعثرة بشكلها المغلق (الأرسطوطاليسية).

كان الإنسان يواجه الطبيعة في تحولاتها، وما يطرأ عليها وما توقعه به من أذى ومن خير، وهو لا يستطيع لما يرى تفسيراً، ولا يقوى أن يسيطر عليه، كان مأخوذاً بعناصر الطبيعة، وكان يرى منها ما يتسم بالخير إذ يكون عوناً له، ومنها ما يتسم بالشر إذ يلحقه منه الضرر، كان الإنسان في حقبه الأولى يواجه الطبيعة ممتلئاً بالخوف، خافقاً قلبه بالرجاء، وكان السبيل المتاح له أن يندمج بالطبيعة ويرى نفسه بعضا منه، ويراها منه، وينسج حكايات بينه وبينها كانت تنطوي على نمط من التفسير وكانت تسعى إلى سيطرة ما على عناصر الطبيعة وهي في أثناء ذلك تحتوي على قيم ومثل تحكم سلوك الإنسان.

كانت تلك الحكايات هي الأساطير، ولقد نشأت ذات منحى أدبي، كانت الأسطورة أدبا يتوخى حسن الصياغة والتأثير في الآخرين بما تحمل من مشاعر يلتقي صانع الأسطورة ومتلقيها

عليها، كانت الأسطورة تتغلغل في أعماق الإنسان وتلامس أدق ما فيه وتعبر عن ذلك على نحو مجازي.

ويعرف معجم مصطلحات الأدب الأسطورة بأنها: قصة خرافية يسودها الخيال، وتبرز فيها قوى الطبيعة في صور كائنات حية ذات شخصية ممتازة ويبني عليها الأدب الشعبي، ويرى المعجم أيضا: (أنها محاولة لتفسير صعوبة فهم النظم الكونية كما تبدو للإنسانية).

2-بين الأسطورة والمسرح العربي: التوظيف والتكييف

تُعدّ الأسطورة، في المنظور الشعري، "دفئا للعقل والجسد"، فالشعب الذي لا أساطير له يموت من البرد، كما يقول الشاعر الفرنسي باتريس دولاتور دوبان، ذلك أن الطاقة التخيلية التي تكتنزها الأسطورة فيها ما يتيح التأسيس لبؤرة من العلاقات الإنسانية، إضافة إلى ما تولده في الإنسان من القدرة على الاستباق والاستشراف.

ولعل هذا الدفء الذي تبعثه الأسطورة كان واحدا من أهم أسباب تكييف شعراء التراجيديا الإغريقية لملاحمهم وأساطيرهم في نحو ألف نص مسرحي تراجيدي، خلال مدة لا تزيد عن مئة عام، لم يصلنا إلا القليل منها.

ويُلاحظ أن هذه النصوص التراجيدية قد كيفت المادة نفسها التي قامت عليها ملحمة الإلياذة، خاصة حرب طروادة، ومنجزات هرقل، ومآسي أوديب وسلالته، ومآسي أجاممنون وسلالته، على كثرة الأساطير التي تحفل بها الميثولوجيا الإغريقية.

وإذا قارنا بين التراث الأسطوري اليوناني والتراث الأسطوري الذي ابتدعه أجدادنا في العراق ومصر وبلاد الشام، نجد أن الثاني أعرق وأضخم من الأول، ويتسم بثرائه الدلالي والجمالي، وتعدد نصوصه (المتمحورة حول الخصب، والإخصاب، والحب، والزواج المقدس، والآلهة والبشر، والحضارة، والسلطة، والموت والبعث والحياة الأبدية، في إطار الأسئلة المقلقة التي رافقت الوجود البشري)، التي تشكّل ما يمكن تسميته بـ"الفكر الميثي."

وتشتمل رمزيتها على كل ما اهتزّ في دخائل مبتدعيها من المعاني الحيوية المهمة. لكن رغم ذلك لم يكيّف كتّاب المسرح العربي، خلال قرن ونصف القرن من عمر هذا المسرح، ملاحمهم وأساطيرهم إلاّ في نصوص قليلة، وبصيغ درامية يمكن تحديدها في ثلاثة أنواع: يتمثل الأول بالنصوص التي كيّفها كتّابها للمسرح من دون أن يحدثوا تغييرا في أحداث النصوص الأسطورية، أو شخصياتها، أو الرؤى التي تحكمها. أي بمعنى أنهم أضفوا عليها طابعا مسرحيا فقط من خلال التقنية، ولم يمسوا نواتها الأساسية، أو بُناها الدلالية.

ويتمثل الثاني بالنصوص التي كُيّفت الأساطير بتأويلها وفق رؤى معاصرة أحدثت تغييرا في أحداثها، أو شخصياتها، أو نواتها الأساسية، أو منظوراتها، لتتناغم ومشاغل عصرنا الحالي، انطلاقا من منظومة الأفكار والأيديولوجيات والتصورات التي يحملها هؤلاء الكتّاب. أما النوع الثالث فيتمثل بالنصوص التي انتزع فيها كتّابها الشخصيات الأسطورية من محاضنها وزرعوها في الحاضر، وافترضوا لها وجودا ومواقف وأفكارا متخيلة أو وضعوها في فضاءات معاصرة غريبة عليها، وزجوها في صراعات مع شخصيات معاصرة.

ويمكن القول إن الشاعر خزعل الماجدي من أبرز الكتّاب العرب الذين أنتجوا نصوصا مسرحية مكيّفة عن التراث الأسطوري الرافديني، في سياق اشتغاله البحثي على الميثولوجيا والأديان والسحر.

وقد ذاعت شهرة هذه النصوص، التي صدرت مع نصوص أخرى له في مجلد كبير ضمن أعماله الكاملة، في أرجاء الوطن العربي، وحظيت باهتمام وحضور واسعين في العديد من المهرجانات المسرحية العربية والدولية، وكُتبت عنها دراسات ومقالات ورسائل وأطروحات جامعية كثيرة، أجمع أغلبها على أنها "نصوص مفتوحة" اتخذت من الينابيع والمصادر الدينية ونصوص التصوف والإشراق والغنوص رافدا جرى امتصاصه لإظهار رموز لها وظائف جديدة من خلال حذف وحدات نصية أو إعادة تركيبها وتسليط الضوء على وحدات أخرى لم تكن مقروءة سابقا، وإضافة "موتيفات" أو ثيمات جديدة إليها لإثرائها دراميا ودلاليا.

فالأسطورة في أصلها طقس شعائري تحول إلى عقيدة متكاملة العناصر. والغرض الآخر الذي تخدمه الأسطورة هو تبرير النظام الاجتماعي وتفسير طقوسه وتقاليده، لأن ما يحدث بين شخوص الأسطورة يعكس الأحداث التي تقع بين الناس على الأرض، لذلك ظلت الأساطير أرضاً صلبة تعاد من خلالها الحكاية المسرحية لتناقش قضايا ومواقف اجتماعية وسياسية وجمالية آنية. فالأساطير على الرغم من اضمحلال دورها الديني، فإنها ظلت حية على خشبة المسرح، يتم التوسل بها للوقوف على مشكلات ومعضلات عصرية، يهرب بها الكاتب من سلطة زمنية ونظام حُكم لا يرحم، أو أن يبحث في قضايا وجودية وجمالية لا يجد أمثل من الأسطورة مُعبّراً عنها أو من خلالها.

المراجع:

1. الأسطورة في المسرح المصري المعاصر، الكاتب: **الزبير مهداد.**
2. في معنى ألأسطورة، الكاتب سعيد عدنان.